جامعة عبد الرحمان بجاية / كلية الآداب واللّغات/ قسم اللّغة والأدب العربي
ملخص دروس الخاصة بمقياس: علم المعاجم
المستوى: السنة الأولى ماستر/ الفوج: 6،7،8،9،10 / أستاذة: ت. بن صافية

الدرس السادس: المدارس المعجمية

إنّ بداية التأليف المعجمي عند العرب كان تأليفا مختلطا؛ بحيث تجمع المادة اللغوية كيفما كانت وحيث ما وجدت إذ يقصد العالم البادية فيجمع المادة اللّغوية دون ترتيب وتمحيص، ثم لاحظ قام العلماء العرب بجمع المادة المتعلقة بالموضوع الواحد في مؤلف واحد (كتب المعاني)، كما ظهرت مؤلفات تجمع مواضيع متعددة في المعاجم الموضوعية .

إنّ التأليف اللّغوي لم يبدأ متخصّصا؛ فقد كان العالم اللّغوي يضع كتابًا جامعًا لأبواب من النحو ومن الصرف، ومن متن اللّغة إلى أن جاء العالم اللّغوي الخليل الفراهيدي (رائد المدرسة الصوتية)؛ حيث بفضله استقلت الفروع اللّغوية وانفصلت عن بعضها، طور فرع المعجمية الذي ميّزه الخليل بمعجمه العين، وفرع النحو والصرف (القواعد) الذي أكمله سيبويه، والفراء والكسائي وغيرهم.

معاجم الألفاظ: هي المعاجم التي اعتمدت في جمع مادتها على الألفاظ لا المعاني والموضوعات وإنما بنية اللّفظ؛ حيث تعتمد في ترتيب المواد على الحروف وتقليباتها، كذلك بالنظر إلى الحرف الأول أو الأخير من الكلمة، أو بالنظر إلى ترتيب الحروف الأبجدية العادية. انطلاقا من هنا ظهرت مدارس معجمية اعتمد أصحابها على نمط خاص في الترتيب يعتمد على حروف الكلمة لا معانيها؛ وذلك كمنهج جديد يسهّل على الباحث أو الدارس طريقة البحث والاستعمال.

1- مدرسة التقليبات الصوتية

كان لهذه المدرسة الفضل الكبير في بعث عجلة التأليف إلى الأمام، ووضع اللّبنة الأولى لإرساء قواعد المعجمية العربية؛ حيث تعتبر هذه المدرسة أول من مهّد الطريق للمدارس اللّغوية الأخرى. لقد اعتمدت مدرسة التقليبات الصوتية منهج الترتيب وفق مخارج الحروف الصوتية واتخاذها كأساس لتقسيم المعاجم إلى مواد وأبنية. يعتبر الخليل بن أحمد الفراهيدي رائد هذه المدرسة ثم تبعه بعض من اللّغويين بمعاجمهم المختلفة. ومن أهم المعاجم التي اتخذت مخارج الحروف الصوتية كمنهج لها نذكر:

❖ **معجم العين**

مؤلفه: الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت175ه) الرائد الأول للفكر المعجمي العربي في جميعه.
هدفه: من المعجم هو ضبط اللّغة العربية وحصرها في نظام مرتب فقام بابتكار "العين" ليملأ الفراغ الذي أصاب الفكر العربي في هذا المجال، لذا فكر في وضعها ضمن قواعد وأسس ثابتة. كما كان غرض الخليل استيعاب كلام العرب وحصر الثروة اللّفظية حصرًا شاملا لاسيما أنّ الرسائل اللّغوية السابقة له لا تسير في جمع اللّغة على أسس علمية ثابتة، ولا يمكن عن طريق هذه الرسائل جمع اللغة وحصرها حصرا شاملاً.

منهجه: رتب المفردات على أساس صوتي وهو نظام لم يسبق إليه أحد؛ فرتب الحروف الساكنة بحسب مخارجها بادئا بالحروف الحلقية، ثم اللّسانية ثم الشفوية ثم الهوائية، وجعل كل حرف كتابًا، وافتتح معجمه بحرف العين وسمّاه كتاب العين، وكتاب الحاء، كتاب الهاء...الخ. وأطلق اسم كتابه العين على المعجم كله لأنه ابتدأ به.

- ننظم الكلمات تبعًا لحروفها الأصلية فقط بغض النظر عن الأحرف الزائدة فيها
- أخضع تبويب الكلمات لنظام الكميّة، كما عالج الكلمات وتقليباتها؛ مثل ضرب: ضبر- رضب- بضر- برض- ربض جعلها في موضع واحد تحت أبعد الحروف مخرجا وهو الضاد
- ألزم الخليل نفسه في منهجه بالترتيب الدقيق؛ فإذا كان بصدد الأفعال ذكر الماضي فالمضارع، فالمصدر كأن يقول: "جدعته أجدعه جدعا"
- رتب الأبواب ترتيبا صرفيًا فابتدأ بالثنائي، فالثلاثي (الصحيح والمعتل)، ثم الرباعي فالخماسي وهو أقصى ما تصل إليه الكلمة العربية الأصل.
- اعتمد على مبدأ التقاليب للكلمة أو ما يسمى بالاشتقاق الأكبر؛ بحيث يمكن توليد كلمة من كلمة سابقة بتغيير مواضع الحروف مثل بر تعطي لنا رب فالكلمة الواحدة أعطت لنا صورتين مختلفتين، وعلى هذا الأساس الرياضي تعطي لنا الكلمة الثلاثية05 مفردات، الرباعية 2' كلمة، الخماسية تعطي 120 لفظة.

إنّ ترتيب الكلمة حسب الخليل يكون على أساس المخرج الصوتي أولا؛ فعندما نبحث عن كلمة (برد) في معجم العين: نرتب حروفها أولاً حسب سلمه اللّغوي فنحصل على كلمة (درب) لأن الدال يأتي قبل حرف الراء وحرف الراء يأتي قبل حرف الباء، بهذه الطريقة نبحث عن كلمة (درب) وتحت شروحها وتقاليبها الخمسة نعثر على الكلمة التي نريدها وهي كلمة (برد).

القيمة العلمية لمعجم العين

كان لكتاب العين أهمية عظيمة في مجال الدراسات المعجمية وقد قامت حوله أبحاثًا كثيرة، وكان ظهور المعجم دافعاً حقيقيًا لقيام دراسة لغوية جديدة عند العرب وهي صناعة المعاجم بالمعنى العلمي الدقيق مخالفا لما كان سائدًا قبل ظهور معجم العين؛ فلقد كانت الدراسات اللغوية في مجال الثروة اللفظية قبل ظهور هذا المعجم تخلو من الشمول وتنويع المفردات؛ حتى جاء كتاب العين غنيًا بجملة من المصطلحات اللّغوية تناقلتها عنه الكتب. وهو أول كتاب لغوي يحمل ألقاب الحروف، كما أنّ موارد هذا الكتاب أصبحت مرجعًا علميًا في جميع فروع اللّغة المختلفة من نحو وصرف، بلاغة، أصوات، لهجات...الخ.

❖ **معجم تهذيب اللّغة**

مؤلفه: أبو منصور محمد بن طلحة الأزهري (ت370ه)، يعتبر من أهم معاجم الترتيب الصوتي التي التزمت بمنهج الخليل، وأهم ميزة تميّز بها هي أنّ الأزهري جمع مادة جديدة عن البدو الذين عاش بينهم فترة من الزمن فهذّب الألفاظ التي جمعها في كتابه من التصحيف والخطأ. وبهذا يعتبر الأزهري اللّغوي الوحيد الذي اهتم – في القرن الرابع الهجري- بالعمل اللّغوي الميداني، وكانت حركة جمع اللّغة قد توقفت منذ أكثر من قرن.

هدفه من المعجم: وضع ضوابط وأسس تحفظ اللّغة العربية وذلك بتنقيتها من الشوائب والأخطاء؛ التي تسرّبت إليها على يد سابقيه ومعاصريه حتى يتمّ فهم كتاب الله عزّ وجلّ وحيث رسوله. فالجهد الذي بذله الأزهري في تنقية اللغة والحرص على سلامتها من الشوائب كان يرمي إلى هدف ديني خالص. ولتحقيق هذا الهدف اعتمد على ثلاثة أمور: السّماع من العرب، الرواية عن الثقات، النقل عما خطه العلماء بشرط موافقته لما وصل لمعرفته.

منهجه: اقتبس من الخليل ما يتعلق بالحروف ومخارجها وصفاتها وغير ذلك دون أن يغيّر شيئا. ورغم أنه اتبع الخليل وسار على طريقه خطوة خطوة إلاّ أنه خالفه في المهموز وأحرف العلة، كما خالفه في المادة التي وضعها في كتابه. وفي غير ذلك نجده لا يكاد يخرج عن طريقه فنظام التقليبات الصوتية هو نفس نظام الخليل.

- قسّم الأزهري معجمه إلى كتب بحسب عدد الحروف مبتدئًا بحرف العين إلى آخر الحروف، ثم جعل لكل كتاب ستة أبواب: باب الثنائي المضعف، باب الثلاثي الصحيح، باب الثلاثي المعتل، باب اللّفيف، باب الرباعي، باب الخماسي. ويقع هذا المعجم في عشرة مجلدات.

مميّزاته: لم يأت بجديد في التأليف المعجمي حيث أخذ منهج الخليل وسار عليه

- اعتنى بالشواهد القرآنية والحديث الشريف، وكثر ورود المترادفات في الموضع الواحد وتفسيرها. كما أكثر عناية بالنوادر والبلدان والأماكن والمياه؛ حتى عدّ من أهم المصادر في هذا السبيل، كما اعتمد على التعليق والشّرح والنقد.

- التزامه في الغالب الكثير لم صحّ عن العرب وإهماله لما لم يصح لهذا سمي " تهذيب اللّغة"

- اعتنى عناية فائقة بالقراءات القرآنية والشّواهد القرآنية، والحديث النبوي الشريف. كما عمل على تنقية اللّغة وتخليصها من الأخطاء التي لحقتها.

❖ **المحيط في اللّغة**

مؤلفه: الصاحب أبو القاسم إسماعيل بن عبّاد (ت386ه)، يمتاز معجمه بكبر حجمه عن المعاجم التي ظهرت في القرن الرابع الهجري. كان يهدف إلى المساهمة في الفكر المعجمي بجمع أكبر قدر من المواد اللّغوية.

منهجه: نهج ابن عبّاد في معجمه "المحيط" نهج الخليل في كتابه "العين"، والأزهري في "تهذيب اللّغة"؛ حيث اتّبع نظام الخليل في ترتيب الحروف حسب المخارج، ووضع الكلمة وجميع تقليباتها في موضع واحد كما فعل الخليل.

- لم يتبع بن عبّاد الخليل في البنية بل سار على نهج الأزهري؛ حيث قسّم الأبواب إلى الثنائي المضّعف والثلاثي الصحيح، والثلاثي المعتل واللّفيف، الرباعي والخماسي.

- لم يتقيّد بن عبّاد بمنهج الخليل والأزهري بل خالفهم في معجمه؛ خاصة في إغفاله الشّواهد والمراجع وانفرد عنهما بكثير من الألفاظ والصيّغ والمعاني؛ ممّا جعل معجمه يزيد زيادة كبيرة في الحجم عنهما، فقد ذكر الرواة أنّ خزانه كتبه حمل أربعمائة جمل.

مميّزاته: المحيط أوسع معجم في عصره حيث يمتاز ب:

❖ السّعة والشمول لمواد لم تكن من بين مواد المعاجم السابقة

❖ عنايته بالعبارات المجازية
❖ تميّز بخاصية الاختصار ممّا جعله لا يعتني كثيرًا بالأعلام والأماكن الجغرافية
❖ لم يجدّد في الفكر المعجمي بل سار على نهج الخليل والأزهري

من المعاجم التي سارت على نظام الخليل في معجمه "العين" نجد:

- معجم **البارع** لأبي علي القالي
- مختصر **العين** لأبي بكر الزبيدي
- معجم **المحكم** لابن سيدة

2- مدرسة التقليبات الهجائية

هي المدرسة الثانية في الفكر المعجمي العربي من حيث النشأة والتدرج التاريخي، رائدها أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد صاحب معجم "الجمهرة" لم يلتزم بالترتيب الصوتي الذي سار عليه الخليل؛ بل لجأ إلى ترتيب أحرف الهجاء العادي (أ، ب، ت....). ويذهب العلماء أنّ الشيباني صاحب معجم "الجيم" هو أول من ابتكر طريقة حديثة ألاّ وهو الترتيب الهجائي الألفبائي حسب الحرف الأول من أصول الكلمات؛ حيث إنّ الترتيب الألفبائي أسهل بكثير من الترتيب الصوتي للحروف، ومع ذلك فهو يشارك الخليل في نظام القلب الذي يحتاج إلى جهد من الباحث وراء الكلمات وتقلباتها. ويدخل في هذه المدرسة: "الجمهرة في اللّغة" لابن دريد،" المقاييس" لأحمد بن فارس.

❖ **الجمهرة في اللّغة**

مؤلفه: أبو بكر بن الحسن بن دريد بن عتاهية الأزدي البصري، وهو من كبار علماء العربية كما أنه أديب وشاعر، سمع العلوم وكان مقدّما في اللّغة وأنساب للعرب وأشعارهم، اشتهر في زمانه في ميدان اللّغة والأدب. له مؤلفات كثيرة مثل كتابه العظيم "الاشتقاق"، وكتابه "الجمهرة" واحدة من أهم المعاجم العربية.

هدفه من المعجم: حسب مقدمة "الجمهرة" فإنّ غرض بن دريد هو اختيار الجمهور من كلام العرب وترك الوحش الغريب؛ أي احتواء الكلام الصحيح للعرب ومن هنا أسماه "جمهرة اللّغة"

منهجه: يتبيّن من خلال كتاب "الجمهرة" تأثر "ابن دريد" بكتاب الخليل حيث اعتمد على الترتيب الداخلي وفق الأبنية واتخذ الترتيب الهجائي كأساس الترتيب العام للجذور؛ حيث احتفظ بنظام ذكر الكلمة ومقلوباتها في أقرب موضع ممكن؛ أي أنه أفاد من الخليل من عدّة جوانب ولكنه عدّل ترتيب الحروف.

- قسّم كتابه إلى ستة أبواب: باب الثنائي المضاعف، باب الثلاثي، باب الرباعي، باب الخماسي، باب اللّفيف، باب النوادر.

- بدأ كل باب من أبواب المعجم بالحرف المسمى به الباب مع مراعاة الترتيب الألفبائي لكل الحروف فباب الباء مع التاء...وهكذا دواليك.

- اعتمد في شرح المواد اللّغوية لمعجمه على نظام التقليبات فهو يضع الكلمة وجميع تقلباتها تحت الحرف السابق في الترتيب الألفبائي مثلا: كلمة ضرب وجميع تقلباتها (ضبر، رضب، ربض،

بضر، برض) توضع تحت حرف الباء لأنه أسبق الحروف في الترتيب الألفبائي. وإذا أردنا البحث عن كلمة (عربة) نجرّدها من الزوائد فتعطي (عرب)، ثم نرتبها ترتيبا ألفبائيا فتصبح (برع) وقس عليها في الأبنية الأخرى.

مميّزاته: يعتبر معجم "الجمهرة في اللّغة" أحد المعاجم الكبير في اللّغة العربية يتميّز ب:

- ❖ اعتنى باللّهجات المختلفة واهتم اهتماما كبيرا باللّهجات اليمنية، واعتنى بالمعرّب والدخيل خاصة من الحبشية والرومية، السريانية والعبرية، النبطية والفارسية.
- ❖ أفاد "ابن دريد" من كتاب العين فنقل عنه في المادة اللّغوية والشّواهد وأخذ عنه بالنّص، كما عالج في مقدمته نفس الموضوعات التي عالجتها مقدمة الخليل ولم تخرج عنها إلاّ في التفاصيل والجزئيات وبعض الأمثلة.

يعتبر "ابن دريد" أحد أئمة اللّغة البارزين خدم اللّغة العربية بتأليفه "معجم الجمهرة"، كما خطا خطوات نحو ترقية المعاجم العربية ودفعها إلى الأمام؛ بحيث تخلص من الترتيب الصوتي إلى الترتيب الهجائي العادي.

- ❖ **معجم مقاييس اللّغة**

مؤلفه: أبو الحسين بن فارس (ت395ه) أحد علماء القرن الرابع الهجري البارزين، ألف معجم "المجمل" وصاحب كتاب "الصاحبي في فقه اللّغة"، ومعجم "مقاييس اللّغة"

هدفه: جعل المادة اللغوية كلها على أصل واحد ، وأن يكشف عن المعنى الأصلي المشترك في جميع صيغ المادة. هدفه أن يثبت أنّ للّغة العربية مقاييس سليمة وأصولاً لا تتفرع منها فروع، وتنطبق فكرته على الثنائي والثلاثي، أمّا الرباعي والخماسي أكثرها منحوت.

منهجه: قسّم "ابن فارس" معجمه إلى ثمانية وعشرين كتابًا بعدد حروف الهجاء؛ فجعل كتابًا للهمزة، كتابًا للباء والتاء...ثم قسّم كل كتاب إلى ثلاثة أبواب بحسب الأبنية أولها باب الثنائي المضاعف، ثانيهما باب الثلاثي، وثالثها باب ما زاد على الثلاثي.

- رتّب الجذور وفق نظام الدائرة فعندما تأتي الكلمات التي تبدأ بالياء تنتظم بالجذور فيها على النحو التالي: ب ب- ب ت- ب ث- ويكون آخر هذه الحروف ب أ؛ أي أنّ "ابن فارس" يبدأ من الحرف نفسه ثم يأتي الحرف مع الحرف الذي يليه في الترتيب الهجائي إلى أن تنتهي حروف الترتيب الهجائي، ثم تأتي الحروف الأخرى السابقة على ذلك الحرف في الترتيب الهجائي.

مميّزاته: أفاد "ابن فارس" من المعاجم العربية بأشياء كثيرة في المادة والمنهج، ولهذا تميّز ب:

- ❖ اقتبس بعض النصوص من اللّغويين السابقين له اختصر فيها كثيرا فترك بعض الصيغ
- ❖ اعتنى بالمجاز عناية كبيرة فيذكر نوع الكلمة إذا ما كانت مجازا أو من الاستعارة أو من التشبيه...الخ.